Teosofia: Indonesian Journal of Islamic Mysticism, Volume 5, Number 2, 2016
DOI: http://dx.doi.org/10.21580/tos.v5i2.1726

رعاية البيئة في التصوف الإسلامي

Ahmad Munji
Marmara University, Turki
amunji@gmail.com

Abstract

As a universal religion, Islam regulates all aspects of life. As one of aspects in Islam, tasawwuf/Sufism invites people to be guardians for environmental preservation since nature is part of God's creatures. To some extent, the teachings of Sufism are mainly about ethic (adab). This ethic can be either vertical to God or horizontal to all God's creatures including nature and environment. Ibn Arabi in this regard is an influential character in Sufism which his thoughts gave a lot of influence on the development of the world of Sufism in General. Among his thoughts is about the unity of God with the universe. The question is, how Ibn Arabi's thought could give an impact in the context of the preservation of the environment. This research finds amd formulates some aspect of Sufism that can contribute to encourage people in dealing with environmental preservation. It is based on attitude or akhlak theologically.

Keyword: Sufism, nature, environment, preservation.

أ. التمهيد

العالم له مكانة عالية لأنه سبيل لمعرفة الخالق. العالم يدل على وجودالله تعالى. كل يسبح بحمده.[١] و الإسلام يرى أن كل مخلوق خلقه الله له دور مهم لاستمرار حياة مخلوقات أخرى.[٢] أوضح هذه النظرية بأن كل مخلوق-حتى أصغر مخلوق لله يكون دليلا على وجود الله. و أشد من ذلك, نظر سيد حسين نصر(١٩٩٤) بأن العالم وما فيه من الحيوانات, و النباتات, و الشمس, و القمر, و الأرض برها وبحرها يكون شاهدا لوجود الخالق.[٣] وبهذا الفهم نعرف أن بالعالم نستطيع أن ننظر الى جلالة الله عز شأنه.

[١] الأنبياء: ٣٣ , الكهف: ٤٤.

[٢] البقرة : ٢٦.

[3] Sayyed Hossein Nasr, "*Islam dan Krisis Lingkungan"* dalam "Islamika" (Jakarta: Mizan dan Missi, 1994), 5.

الكون أو الطبيعة تعكس وجود الله خالق كل شي بقصد معين يختلف باختلاف انوع خلقه. رأى محمد عبده(ت.١٩٠٥م) أن المخلوقات كلها أيات لله تعالى, وحركتها دليل على كمال نظامها التابع لكمال خلقها.[٤] و هذا يعني أن بين العالم و الخالق صلة وثيقة لا يمكن للإنسان أن يطيع الله تعالى ويفهم حقيقة وجوده الا من خلال فهم هذه الصلة.

العلم بالعالم في الإسلآم ليس بمجرد علم البيئة, لأن به يمكن الوصول الى معرفة الله و محبته. قال ابن عطاء الله السكندري(ت.٧٠٩) في حكمه: الكون كله ظلمة وإنما إنارته إظهار الحق فيه, فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شمس المعارف بسحب الأثار.[٥] و إذا أوجب الله تعالى الإنسان فهم الموجد فوجب على الإنسان فهم وجود العالم. لأن وجود الله في الدنيا هو العالم وما فيه. فمن يرغبأن يرى ربه قبل الموت فعليه نظر العالم وما حوله.

ويتركز الباحث في الكشف عن هذا الحل حول علم التصوف باعتباره لب الدين الإسلامى. و بالخصوص آراء الشيخ الأكبر ابن عربي الصوفي. ذلك لأننا عند الحديث عن موضع ما نحتاج الى شخصية له باع طويل حول الموضع.

فالشيخ ابن عربي(ت.١٢٤٠م) له اثار عميقة في العالم الإسلامي بحيث لايمكن فهم تاريخ الإسلام بعد عصره إلا بفهم أفكاره. إلا أننا في صعيد الواقع قلة اهتمام المسلمين خاصة أهل السنة و الجماعة بدراسة أفكارهذا الرجل. مع أن الرجل له إهتمام كبير بالعالم. وهذا ناشيء من النزعة الصوفية. فهو يرى أن العلاقة بين الخالق و الكون وثيقة. لأن الكون ليس إلآ مجلى الألوهية.[٦] فلا يحكم بأن تعظيم الكون من أمثال الجبال, و البحار, و الأشجار و غيرها كفر. بل هو تخقيق لمعنى الألوهية.

قال كوثر أزهري(١٩٩٥م) نور: جميع أراء ابن عربي حول الإهتمام بالكون راجع الى تجلياته.[٧] فالله خلق هذا الكون ليرى ذاته و أظهره من خلال وجود هذا العالم. الطبيعة هي مرآة الله, كمظهر من مظاهر الله فالعالم تخقيق لجوهر الله تعالى. و في حين أخر أن الله هو الكنز الخفى ولا يمكن لمعرفته الا بوسيطة العالم. قال تعالى في الحديث القدسي"كنت كنزا لم أعرف فخلقت الخلق"[٨] هذا قد يوهم الى

---

[٤] محمد عبده, *الله ﷻ وصفاته وأفعاله* في*رسالة التوحيد* (قاهرة: دار المنار, ١٣٦٦), ص١٧٥.

[٥] ابن عطاءالله السكندري, *الحكم* (جدة: حرامين, د.س.)، ص ١٨.

[٦] ابن عربي, *الفتوحات المكية* (قاهرة: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦), ص, ٢٩٨.

[7] KautsarAshariNoer, *IbnArabi: WahdatulWujuddanPerdebatan* (Jakarta: Paramadina, 1995),58.

[٨] كان صحة هذا الحديث مازال في التعرض بين المحدثين, منهم من قال أن هذا الحديث ضعيف من جهة الرواية. ولكن راء ابن عربي أنه صحيح بنظر الى مكاشفته. ارجع إن شئت الى كتاب Sachico Murata, *The Toa of Islam*, trans., RahamaniAstutidan

(pantheisme),[٩] ولكن في الحقيقة يمكن لنا أن نجعله للقول بأهمية رعاية البيئة بإعتبار أنها مجلى الألوهية.

و لابن عربي(ت.١٢٤٠م) نظرية أخرى. و هي نظرية الإنسان الكامل. و هذا الإسم أظهره في أوائل القرن السابع الهجري أو الثالث عشر ملاديا.[١٠] إلآ أن مدلوله كان موجودا قبل الشيخ ابن عربي وإن لم يسم بهذا الإسم.[١١] استعمل الشيخ ابن عربي هذا الاسم للدلالة علىصلاحية الإنسان ليكون مجلى الأ لوهية. فهل كل أحد يمكن أن يسمى الإنسان الكامل؟ جزم الشيخ بعدم إمكانه وان كان لكل أحد أهلية لذلك. فالإنسان الكامل هوالذي يقدر على التحلي والتخلق بأخلاق الله تعالى.[١٢]

البحث فيما يتعلق بالأخلاق والحفاظ على البيئة، فقد عرض ابن طفيل في قصته المشهورة (حي بن يقظان) رؤية فلسفية أخلاقية حول علاقة الإنسان ببيئته وأهمية الحفاظ على الحياة البرية، فيرى أن الأخلاق الحميدة هي التي لا تعترض الطبيعة في سيرها والتي تحول دون تحقيق الغاية الخاصة بالموجودات، فالفاكهة مثلا تخرج من زهرتها ثم تنمو وتنضج ثم تسقط نواها على الأرض ليخرج من كل نواة شجرة جديدة، فإذا قطف الإنسان هذه الثمرة قبل إتمام نضجها، فإن عمله هذا يعد بعيداً عن الأخلاق، لأنه يمنع النواة التي لم يتم نموها ونضجها، قبل أن تحقق غايتها في هذا الوجود وذلك بإخراج شجرة من نسلها.

ب. بحث

الأخلاق البيئية

قبل الحديث عن مذاهب الناس في الأخلاق البيئية لابد من معرفة معنى الأخلاق البيئية أولا. هناك كثير من المعاني لهذا الاصطلاح, ولكن اكتفى الباحث بذكر ثلاثة من تلك المعاني وهي كما يلي:

١. ذهب Keraf(٢٠٠٦) بأن الأخلاق البيئية هي صلة سليمة بين الإنسان و العالم.[١٣] نفهم من هذا التعريف واجب الإنسان نحو العالم. عليه أن يعيش مع العالم عيشة سليمة.

MS. Nasrullah, Bandung: Mizan, 1996, 39 نظر ابن تيمية أن هذا ليس بحديث, إرجع إلى *مجموع الفتوى*, بيروت: دار العربية, ١٣٩٨, ج ١٨, ص ١٣٢

[٩] مفهوم "pantheisme" راء أن وجود الله يمكن أن يورى بواسطة العالم. و هذا المفهوم يمكن أن يكون نقطة الإنطلاق للإهتمام بالبيئة. أنظر مظافر عبد الله في "تيولوجيا" المجلد ٢٢ يناير ٢٠١٢

[10] Yunasril Ali, *Manusia Citra Ilahi* (Jakarta: Paramadina, 1997), 6.

[١١] اختلف العلماء عن مصدر نظرية الإنسان الكامل, تكلم يونسريل على فيه كثيرا في نفس المصدر, ص,٦

[12] A.Eafifi, *Filsafat Mistis Ibn 'Arabi,* trans. Sjahrir Mawi (Jakarta: Gaya Media, 1989), 117.

[13] SonyKeraf, *EtikaLingkungan* (Jakarta: Kompas, 2006), 2.

٢. و رأى Anderson كما نقله Cang(٢٠٠٠) في كتابه "Moral Lingkungan Hidup" أن الأخلاق البيئية هي طريق لابد أن يسلك فيه الإنسان حفظا للعالم.[١٤] فبالطبع أن هذا التعريف الثاني أعمق من التعريف الأول لأنه يصل الى درجة التطبيق في الحفظ للعالم.

٣. وقيل أن الأخلاق البيئية هي نظام شامل يتكون من الطباع السليمة للإنسان عند معاملته مع العالم.[١٥]

من خلال هذه التعريفات المذكورة يمكن لنا أن نلخص أن الأخلاق البيئية هي العلاقة الأخلاقية بين البشر والبيئة الطبعية. البشر هم جزء من العلم، وكذلك الكائنات الحية الأخرى, هي جزء لا يتجزأ من البيئة ويكون بالتالي لحق في أن يعتبر جزءا من حياة الإنسان. و الأخلاق البيئية كآداب الحياة لا بد أن يكون له أساس, إما أن يصدر من الفكرة السليمة أو من الشريعة الدينية أو الجمع بينهما.

بدأ الحوار عن الأخلاق البيئية بين علماء هذا الفن حول أواخر القرن العشرين ميلاديا.[١٦] وذلك عند ظهور أول مذهب في هذا الفن يقال له "المركزية البشرية Anthropocentrism". هذا المذهب يرى أن الإنسان يكون مركزا لنظام الكون. معنى هذا أن الإنسان وحوائجه يعتبر من أهم الأمور لاستمرار كيان البيئة,وله حرية التصرف تجاه البيئة الطبيعية طالما أنه لا يؤذي أبناء جنسه. ولذلك, ما العالم الا هدفا و وسيلة لإملاء حوائج الناس, و ليس للعالم قيم و نتائج عند هذاالمذهب.[١٧]أمكن علماء هذا المذهب الناس في المركز البيئي, لأنهم ذهبوا بأن الله خلق الأرض وما فيه كروضة ومعيشة للناس. لذلك تُعتبَر الأفعال والسياسات "صحيحة" إذا نفعت أفراد البشر ومجتمعاتهم. و خلاصة القول أن البيئة تخلق من أجل إملاء حوائج الناس, و أساس رعاية البيئة عند "المركزية البشرية Anthropocentrism" مبني على معرفة أهمية البيئةكوسيلة لإملاء حوائج الناس.

---

[14] William Cang, *Moral Lingkungan Hidup* (Yogjakarta: Kaniius, 2000), 34.

[15] Abdul Qudus dalam Swito. NS, *Eko-Sufisme: Konsep, Strategi dan Dampak* (Yogyakarta: STAIN Press, 2011), 28.

[١٦] البيئة في اللغة تعني الإقامة أو المنزل, يقال تبوء فلان منزلا, أي اتخذ منزلا, و الإسم البيئة و المبائة. أما في المصطلاح العالمى الحديث فقد عرفت البيئة بعدة التعريفات. و أوجزها إعلان معتمر البيئة البشرية التي عقد في استكهولم عام ١٩٧٢م, حيث عرف البيئة بأنها كل شيئ يخيط بالإنسان. راجع إلى محمد عبد القادر الفقهى, *البيئة: مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث*, (قاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٩٩٩), ص ١٤.

[١٧] إرجع إلى كتاب *KitabKejadian, Pasal 1:26:28*,يشرح فيه أن الله خلق الناس على صورته. وبعد ذلك فوض الله الكون ومافيه من السمك في البحر و الطيور في الجو و البهائم وغير ذلك للناس. هذا التعليم قد فسر بأن الله قد أباح الناس كمال الإباحة لإستغلال ولإستثمار العالم لحوائجهم.

لاحظآرني نايس-بناءا على أكبر اهتمامه للناس-أن هذا المذهب من الأخلاقيات البيئية الضخلة, يعني عكس أخلاق البيئية العميق.[١٨] وإذا قورن بالمذهبين الآتيين يكون هذا المذهب في أرذل المذاهب, ويعتبر نايس ناشط البيئة من الأسباب الرئيسية للأزمة البيئية اليوم. لما كان تركيز اهتمام هذا المذهب يقع في الناس وحوائجه, واجهت هذه النظرة كثيرا من الانتقادات الجارحة. منها رسالة وايت"White".[١٩] إنه قال أن الأزمة البيئية تكون أثرا من تفاسير الآيات التي تشرح أن الإنسان خليفة الله في الأرض. هذا وفقا لما شرعته الأديان السماوية, أن للإنسان مقامات عظيمة.أما قدس بعد أن لاحظ تاريخ نشأة "المركزية البشرية Anthropocentrism", يرى أن هذه النظرة تكون نتيجة من سوء الفهم للدين.

التصوف و الأخلاق البيئية

إذا سئل سائل فقال: لم نسمع بذكر التصوف في أصحاب الرسول ولا فيمن بعدهم, ولا نسمع إلآ العباد والزهاد و الفقراء. فنقول بالله هذا صحيح. لأن هذا الاسم لم يكن موجودا وقت الصحابة والسلف، وكان المعنى موجودا في كل منهم.[٢٠] بل معظم فنون العلم الإسلامي أسماؤها لم تكن موجودة آنذاك، ولا يعني هذا أن العلم غير موجود، لأنه قد يتأخر الاسم عن المسمى.

ويبدو أن من أسباب ظهور طبقة العباد والزهاد في القرن الثاني الهجري هو إقبال الناس على الدنيا وحرصهم عليها، بدأ الناس يجمعون منها، و يتفاخرون بها[٢١] وهنا حدثت مرحلة انتقالية من بين هؤلاء العباد، والزهاد، والفقراء، حيث تطور معنى العبادة والزهد والفقر إلى تسمية جديدة هي اسم التصوف، و تطور هؤلاء الى طائفة جديدة هي الصوفية.

ثم انتشرت حركة التصوف-بشكل أوسع- في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة.[٢٢] لحظ "Sell" أن ظهور التصوف يكون نقدا عن السلوك و أنماط

---

[١٨] Arne Naess هو أول من عرف إصطلاح "الأخلاق البيئة العميقة"(Deep Ecologi) أنه قادم من"Norwegia".وبعد ذلك عرف "Naess" بأهم العلماء في حركة الأخلاق البيئة حتى اليوم."*The Shallow and The Deep, Long-Range Ecological Movement: A Summary.*"

[١٩] رسالة"White" تعتبر من أول رسالة نقدت نظرية شريعة الدين في البيعة و العالم الإستغلالي. وبالتالى هذه الصناعة العلمية تثير الى الجدل العلمي بين العلماء. إرجع إن شئت الى Lynn White Science 155 (3767): 1203-1207. (HTML Copy, PDFcopy) *"The Historical Roots of Our Ecological Crisis,"*,

[٢٠]. سراج الدين الطوسي, *اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي*(بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٧) ص ٢٤.

[٢١].ابن خلدون, *المقدمة* (القاهرة: دار المعارف, ١٩٦٨)، ص٤٦٧.

[٢٢]. حقيقة أن لفظ الصوفي قد كان موجودا في عهد التابعين, هذا وفقا لماروواه سفيان الثوري رحم الله أنه قال: لولا ابو هاشم الصوفي ما أرفت دقيق الرياء.الطوسي في مقدمة, *اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي*, ص ٥.

العيس التى لم تكن موجودة فى عهد الصحابة ومن سار على نهجهم من التابعين.[٢٣] نرى في هذا القرن أنماطا من الحياة لم تكن مؤلوفة من قبل, من التفنن في الطعام و المآدب و حفلآت الزوج التى تنفق فيها أموال بمأت الألوف بل ملايين من الدنانير و الدرهيم. وكانت هذه القضية تدفع بكثير من الناس إلى أن يطرقوا باب الزهد.[٢٤] ووفقا لما لاحظه "سل"، نظر سعيد عقيل سراج(٢٠٠٤) أن ظهور التصوف صورة النقد الفعلي"Silent kritik" من المتصوفين. وهكذا كان الزهد رد فعل مضاد للإنحراف عن الحيات الصدر الأول.[٢٥]

هذا، ثم من ناخية إجتماعية يمكن أن نقول أن التصوف على ثلاثة معان, التصوف كأخلاق و التصوف كفن و التصوف كخاصية, و المعنان الآخيران كانا ثمرتان من المعنى الأول.[٢٦]

أما التصوف في المعني الأول وهو كونه كالمظهر الأخلاقي و الروخي الإسلامي. يعني طريق الوصول الى التقوى وتزكية النفس السمو الأخلاقى والتحلى بالفضائل الروحية والأخلاقية. وهذا التعريف للتصوف أيده الجريري حيث قال: التصوف هو الدخول في كل خلق سني و الخروج من كل جلق دني. وأيده كذلك الجنيد البغدادي فقال: التصوف خلق, من زاد عليك بالخلق فقد زاد عليك بالتصوف. والتصوف على هذا المعني يطلق له التصوف الأخلاقي. ومن كبار هذه الفرقة: : الحارث المحاسبي (ت.٢٤٣ هـ/٨٥٧ م) صاحب كتاب آداب النفوس، والإمام القشيري (ت.٤٦٥ هـ/ ١٠٧٤ م) صاحب الرسالة المشهورة، وحجة الإسلام الإمام الغزالي (ت.٥٠٥ هـ/١١١١ م) صاحب إحياء علوم الدين، و شيخ الإسلام ابن تيمية (ت.٧٢٨ هـ/١٣٢٨ م) صاحب كتاب الزهد والورع والعبادة، وسعد الدين التفتازاني، وغير ذلك.

هناك تعريفات كثيرة لأخلاق, ولكنها تعريفات متقاربة. قدم الغزالي تعريف العام, هو عبارة عن هيئة في النفس راسخة, عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً.[٢٧] ثم انطلاقاً من تعريفه للأخلاق

[23] .Michael A. Sell, *Terbakar Cinta Tuhan* (Bandung: Mizan, 2004) 42

[٢٤]. ذكر الذهبي في كتابه "*دول الإسلام*" من الخلفاء من يدفع في مهر زوجته ألف حصاة من اليقوت, ويوقد ثموع العبر في كل واحدة مئتا رطل, ويبسط لها الفرش المنسوبة بالذهب, المكللة باليقوت. إرجع إلى الذهبي, *دول الإسلام*, تحقيق، حسن مروة، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٩, ص ١٢٩.

[25] Said AqilSiraj, *Tasawuf Sebagai Kritik Sosial* (Bandung: Mizan, 2006), 34.

[26] NS, Swito, *Eko-Sufisme: Konsep, Strategi dan Dampak* (Yogyakarta: STAIN Press), 37.

[٢٧]أبو حامد الغزالي، *إحياء علوم الدين* (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر)، ص٥٣

يبين لنا الإمام الغزالي شروط الفعل الأخلاقي فيرى أنها أربعة:أحدها: فعل الجميل والقبيح, والثاني: القدرة عليهما, والثالث: المعرفة بهما, والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين. وعرفه ابن مسكويه بقولهالخلق: حال للنفس، داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويَّة،وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب، ويهيج من أقل سبب، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، أو يرتاع من خبر يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مفرطًا من أدنى شيء يعجبه.[٢٨]

تعتبر القاعدة الأخلاقية من أهم المبادئ التي جاءت بها التصوف الإسلامي، فالأخلاق تشكل جزءا مهما من الإسلآم الذي ينبغي أن يلتزم به المسلم. بل الأخلاق هي الهدف الأساسي في بعثة الأنبياء والرسل، فقد صرح رسول الله ﷺ بأن هدف بعثته ليس إلا لإتمام مكارم الأخلاق ،[٢٩] والقيمة الأخلاقية في الإسلام لا تنحصر في أبعادها الإنسانية فحسب، بل تتجاوز ذلك لتنظم علاقة الإنسان بجميع أهل الأرض بما فيهم الحيوان، والنبات، والبيئة. وأبرز مثال لذلك قول رسول الله ﷺ: الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ[٣٠].

فالأخلاق في الإسلام تمتد لتشمل جميع جوانب النشاط الإنساني وقد أرسى الإسلام دعائم وأصول التعامل الأخلاقي مع البيئة بكل مكوناتها.[٣١]وهذا يتماشى مع رأي "پول تايلور" حيث قال: إنه تتعيَّن علينا التزاماتٌ أخلاقية تخص مكونات الطبيعة في حدِّ ذاتها، باعتبارها أعضاء في مجتمع الأرض الحيوي.[٣٢] فمفهوم التسخير الذي جاءت به الشريعة الإسلامية لا يعني الإحساس بالاستعلاء والتدمير. كما كتبه " وايت White" في رسالته نقدا عن شريعة النصرني, بل هو مفهوم مؤطر في إطار الضوابط

---

[٢٨] ابن مسكويه, *تهذيب الأخلاق*, موقع الوراق,http://www.alwarraq.com

[٢٩]. قال. فيما روي عنه : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق, السنن الكبرى للبيهقي ١٠/١٩٢(بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٣).

[٣٠] رواه الترمذي, *سنن الترمذي*, تحقيق محمد فؤد عبد الباقي (القاهرة: دار الفكر, د.س.), ج ٣ ص ٣٨٨

[٣١]. روى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال: بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذ كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه، حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له. قالوا يا رسول الله إنا لنا في البهائم أجرا؟ فقال: "في كل كبد رطبة أجر" متفق عليه, يحي بن شرف النواوى, *رياض الصالحين* (جدة: حرامين, ٢٠٠١) ص٧٠. وعن ابن مسعود ﷺ قال: "كنا مع رسول الله في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمره -هي طائر كالعصفور- معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تعرش -أي تظلل بجناحيها- على من تحتها فجاء النبي ﷺ فقال: "من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها" رواه أبو داود في كتاب الجهاد,*سنن أبي داود*, أبو داود سليمان ، بيروت: دار الفكر, ١٩٩٤. ج ٣ ، ص ٥٥.

[٣٢]. مايكل زيمرمان ، *الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية* ، ص ٣٢.

الشرعية ومقاصد الشريعة التي تجعل الإنسان ينتفع ببيئته دون تدمير أو هلاك للحرث والنسل أو العبث بالكائنات.

و وجود الاعتدال في الانتفاع, يكون خصصية من خصائص السلوك الإسلامي ومقصد الإسلام في الحث على هذا الخلق هو حفظ توازن النوع الإنساني والبيئي، فلا ينتفع الإنسان بالبيئة إلا بالقدر الذي يحفظ استمرار النوع، وإعمارة الكون، ولا يتسبب في تدمير البيئة والإخلال، بالتوازن البيئي مما يتسبب في مشاكل بيئية. كانت هذه النظرية رد رأي الأخلاق البيئة "المركزية البشرية Anthropocentrism" التى ترای أن أفعال البشر تجاه الطبيعة تكون صحيحة أو خاطئة وفقًا لمدى تناسُبها مع "خير" الإنسان. ففي مجال الحفاظ على الثروة الغابوية حرم القتل والعبث بالكائنات الحية دون فائدة.[٣٣] وموقف الإسلام في التعامل مع هذه الكائنات واضح، فهو لا يقر الظلم والعبث بها.[٣٤] فالظلم عام لا يستثني كائنا دون آخر، بل لكل كائن حقوق معينة رسمتها الشريعة، ووضعت أصول وقواعد التعامل معها.

و و مشروعية الرحمة في التعامل مع هذه الكائنات تستهدف تربية المسلم وتعويده على الشعور بأمانة الاستخلاف على هذه الكائنات، فلا يأخذ الموارد في ما لا منفعة فيه ولا يطغى ويتجبر على هذه الكائنات وكأنها لا تحس ولا تشعر بظلم الإنسان إنها كائنات تحس وتشعر ولكننا نحن الذين لا نفقه إحساسها. روى وكيع عن أبي بكر الهذلي، عن أبي قلابة قال: من ذبح عصفورا عبثا، جاء يوم القيامة يعج، قال، لم يذبحني فيأكلني، ولم يدعني أعيش في حشراتها.

وفيما يتصل بموضوعنا فإن الإرشادات الإسلامية التي تساهم في حماية البيئة وفيرة ومتنوعة، وبعضها يعتبر إرشادات عامة تصلح للتوجيه في حماية البيئة بكافة عناصرها، وبعضها تمثل إرشادات خاصة تنفع للتوجيه في مجالات محددة، و التصوف يلعب دورا كبيرا في هذا الموضع.

حدثت الأزمة البيئة في أنحاء العالم, منها أندونسيا. بل الأزمة الحادثة فيها تعتبر من أكبار الهلاكات العالمية. قال "ولهي" أن الأزمة الحادثة في بلادنا بين سنة ١٩٩٨ حتى ٢٠٠٣ يصل إلى عدد ٦٤٧ حوادث, وتلك ٨٥% من الفيضان.[٣٥] و أشد من ذلك البيان من "FAO" قرر أن أندونسيا من أسرع الدول

---

[٣٣]. أبن رشد، *بداية المجتهد*, بيروت: دار الفكر, ٢٠٠٨, ج ١ ص ٣٣٢.

[٣٤]. وفي الحديث عن سعيد بن زيد ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "من ظلم من الأرض شيئا طوقه من سبع أرضين" أخرجه البخاري باب الإثم من ظلم شيئا من الأرض،إسماعيل إبرهيم البخاري, *صحيح البخاري*, بيروت: دار الكتب الإسلامي, بلا سنة, ص ٦٨

[35] Hadi, S. Ali Kodra *Kapasitas Pengelolaan SDA dan Lingkungan Hidup*, Diktat Seminar Kajian Islam Komprehensif (Jakarta: Pskasarjana UIN Jakarta 2007), 45.

في العالم فسادا في الغابة سنة ٢٠٠٨.[٣٦] إنطلاق من هذا كتب "Mc Kibben" في "The End of Nature" هذه الكتابة تكون صورة الإهتمام لأزمة البيئة العالمية.

رأى "Contanza" كمانقله "Koncakو Paskual" أن قضية الأزمة البيئة –إما أن تكون عالميا أو جزئيا- أثر من جسع الإنسان وطمعه.[٣٧] و أيد هذا الرأي "Enoch" أن عمل الإنسان الصناعي لا يهتم بالأمور الإجتماعي. و لا ريب أن لجشع الإنسان وطمعه الذي لا حدّ له تأثيراً سلبياً على البيئة، إمّا بشكل مباشر، لأن زيادة استهلاك الإنسان للمنتجات على اختلاف أنواعها الغذائية أو الصناعية أو غيرها تتبع زيادة الإنتاج مع ما يستلزمه ذلك من استنزاف الموارد الطبيعية.[٣٨] وإما بشكل غير مباشر لأن الطمع والجشع يقود الإنسان في كثير من الحالات إلى التقاتل و الحروب والصراعات وهي بطبيعة الحال تدمر الكثير من مظاهر البيئة وعناصرها.[٣٩]

ومن هنا فإنّ مفهوم الزهد الذي قدمه التصوف يمكنه أن يلعب دوراً كبيراً في هذه القضية، لإنه يروّض الإنسان على القناعة، ويحدّ من نزعة الجشع والطمع لديه. وإن بعض مظاهر الطمع يمكن الحكم بحرمتها لكونها إسرافاً أو احتكاراً.[٤٠] و قال القشيري(ت.١٠٧٤م) الزهد فيها أي "الحرام" واجب و فيها - إن كان حلالا" فضيلة.[٤١] ربما يفسّر الزهد تفسيراً خاطئاً بما يجعله مساوياً لإهمال الحياة بكل عناصرها. إنّ هذا التفسير أو الفهم الخاطئ للزهد سينعكس بشكل سلبي على البيئة. إنما الزهد هو العناية والاهتمام بالبيئة ومكوناتها.[٤٢] إن المطلوب هو الزهد في الحياة لا الزهد بالحياة، والزهد كما قيل: ليس أن لا تملك شيء، بل أن لا يملكك شيء. فترك الدنيا مثل إمساكها في القيمة.

من خلال ما تقدم لم يبق شك في أن الإهتمام التصوفي التي جاءت بها الشريعة الإسلامية بموضوع النظام الأخلاقي "شامل فيه أخلاق البيئة" واضح جدا. و التصوف كمظهر من مظاهر الإسلام يتركز في العلاقة بين الإنسان والخالق الأخلاقية, و التعامل الأخلاقي مع هذه الكائنات. وفي هذا الموضوع

---

[36] Sudarsono, *Menuju Kemapanan Lingkungn Hidup Jawa* (Jogjakarta: PPLHRJ, 2007), 129.

[37] Wiliam Konchak and Unai Paskual,C*overgin Paradigm for Co-Evalutionary Enveronmental Limit Diascorese*, *Environmental Economy and Policy Research,* 14, 2005: 3

[38] Mc Elroy, ذكر أن فساد الأرض يكون أثرا من استنزاف الموارد الطبيعية, و تلوث الأرض, و الماء و الجوي. *Human Radically altered the Nature of The Planet- Waring its Climate, Depletingits Resaourses, Poluting its oil, water and air"* في *Eko-Sufisme* ل "Swito NS١ ص "

[٣٩]. ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (الروم :٤١)

[٤٠]. لا ريب في كونها مذمومة للشارع الأقدس من خلال الكثير من الروايات التي تتحدث عن ذم الطمع وتحذر منه، عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: الطمع أول الشر. إرجع إلى, *الحكم من كلام أمير المؤمنين*, بلا طبعة, بلا سنةص ٥٧٦.

[٤١]. القشيري,*الرسالة القشيرية في علم التصوف* (بيروت: دار المحبة البيضاء, ٨..٢)، ص ٢١٤.

[٤٢]. حسين الخشن في,*النظام الأخلاقي وحماية البيئة, في ألو إندونيسيا*,العدد٣٢٩, ٢٠١٠.

نظر الإسلام -كمصدر التصوف- أن لجميع المكونات قيم ومنافع, و كل يسبح الله.[٤٣] من مفاهيم وتعاليم التصوف الإسلامي أن العلاقة الإكولوجية لاتنحسر على العلاقة الإنتفاع والإستفادة وحسب. بل أن للتصوف مفاهم أفضل من ذلك. لم ينظر التصوف إلى المكونات كمتعة مجردة، ولكنه ينظر إليها كآيات ودلائل على وجود الله, ووسيلة لشكر النعمة و المقاربة, والزينة في الحياة و الانتفاع لحوائج الناس.[٤٤]

العلاقة بين الله و العالم

كان الكلام حول هذا الموضع مهما في هذا الباب, لأن معرفة هذه العلاقة سوف يساعدنا في فهم مقاصد صنع العالم. بحث "موليادي" غير مرة عن العلاقة بين العالم والخالق عند المتصوفة، و استنتج أن بينهما صلة وثيقة.[٤٥] و أوضح دليل على ذلك ظهور كثير من النظريات من الصوفية في هذا الموضوع، على الأقل فيه ثلاثة أقوال: منها النظرية الإشراقية التي قدمها السّهروردي(ت ٦٣٢), تعتبر هذه النظرية من الصوفية لأن طريقة الإستنباط المعرفة تتمّ عن طريق ظهور الأنوار العقليّة و الإكتشاف.

و الثاني نظرية الحكمة المتعالية, هي مدرسة فلسفية إسلامية، أسّسها صدر الدين الشيرازي(ت ١٢٧٤م) المعروف بصدر المتألهين. وشيّد أركانها على نظريّته الأساسية: أصالة الوجود و الماهية. و الوجود عنده ليس بالماهية. وتتميز هذه المدرسة باستقائها من مصادر الدين الإسلامي الأساسية كالقرآن والروايات المعتبرة من الأحاديث, ومن الوجدان والشهود فضلاً عن اعتمادها على المنهج العقلي البرهاني.[٤٦]

---

[٤٣]. إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (البقرة :٢٦)وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ الأنبياء :٣٣)

[٤٤]. يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (النحل:١١)وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (النحل:١١) زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (البقرة:٢١٢), وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)

[45]Mulyadi Kartanegara, Menyelami Hakikat Tuhan, Manusia dan Alam (Jakarta: Erlangga 2007), 18-30

[٤٦]. فنجد صدرا يشنّع على من ينكر العلم اللدنيّ، بينما هو يعتبره أقوى وأشدّ فيقول: " إنّ كثيراً من المنتسبين إلى العلم ينكرون العلم الغيبيّ اللّدنيّ، الذي يعتمد عليه السلّاك والعرفاء، وهو أقوى وأحكم من سائر العلوم، قائلين ما معنى العلم إلا الذي يحصل من تعلّمٍ أو فكريّة ورويّة" إرجع إلى صدر الدين الشيرازي,*مفاتيح الغيب*: المشهد الثامن من المفتاح الثالث. تحقيق حسن الأمين (بيروت: دار المعارف للمطبوعات,١٩٨٣)، ج ٩, ص ٣٢٣.

والثالث نظرية الغزالي(ت١١١١م), و هو يرى أن ما سوى الله محدث و مخلوق و منتج إلهي، و في حين أن الله قادم و مسبب من كل شيئ.[٤٧] وفي حين أخر إنه ظهر بكل شيئ.

و إذا أمعنا النظر في النظريات الثلاث المذكورة، وجدنا عجبا في كل منها، فالنظربتان الأولى والثانية تشيران إلى أن العالم مقدس، لصدوره من الذات المقدسة. و كذلك مفهوم النظرية الثالثة الذي يرى أن العالم هو إنتاج إلهي. وعلى هذا يكون الإيذاء للعالم-الذي هو المنتَج-إيذاءا لخالق العالم الذي هو المنتِج، أو بعبارة أخرى يكون الإيذاء لها ابتعادا عن الخالق. وهذا يمكن أن يكون أساسا للأخلاق البيئة.[٤٨]

في الواقع هناك نقطة مشتركة بين المعنى الوارد في الأخلاق البيئة و تعالم التصوف الإسلامية في حد ذتها. وتلك النقطة المشتركة تقع في نظرية معنى التوحيد.[٤٩] والوحدة جزء من نظرية التوحيد في الإسلام. وفقا من هذ المفهوم أن الحياة تصدر من الوجود الحقيقة, و في جوهرها أن الحياة مجلى الألوهية. و جميع المكونات يجب أن تنتهي و تتم جمعها عند الخالق. هذا توجه الناس ليعيشوا و فق المبادى العادلة و المساومة و التسامح لجميع المكونات في أجل النيل على رضى الخالق.

ج. نتيجة البحث

أن الإهتمام التصوفي التي جاءت بها الشريعة الإسلامية بموضوع النظام الأخلاقي "شامل فيه أخلاق البيئة" واضح جدا. و التصوف كمظهر من مظاهر الإسلام يتركز في العلاقة بين الإنسان والخالق الأخلاقية, و التعامل الأخلاقي مع هذه الكائنات. وفي هذا الموضوع نظر الإسلام -كمصدر التصوف- أن لجميع المكونات قيما ومنافع, و كل يسبح الله.

أن المكونات مظاهر من مظاهر الخالق. وكل خاضع لقانون واحد وسنّة واحدة تتحكم فى تحركهم وسكونهم، وهذا النظام يعبر عن وحدة الخالق، وتظهر فيه سنن الله فى خلقه. وفي حين أن الإنسان كون مصغر إجتمعت فيه حقيقة العالم, ولما كان الإنسان مكون من عناصر العالم فعنايته جزء مهم من عناية الخالق. فيلزم وجود تعامل مع الكون الحسن, ذلك من منطلق الشعور بالمساواة معها والمشاركة فى العبودية لإله واحد، وترتبط علاقاته بغيره بمدى تعلقه والتفاته إلى ربه.

---

٤٧. محمد الغزالي, *إحياء علوم الدين* (بيروت: دار الفكر, ٢٠٠٢)، ج ١, ص ١٠٤-١٠٥.

٤٨. Swito NS ص ٥٠

[49]Hossein Nasr, *Science and Civilization in Islam*, dalam http//www.fordham/halsall/med/nasr.html. diakses pada 25 Januari 2013.

Bibliography

Nasr, Sayyed Hossein, "*Islam dan Krisis Lingkungan"* dalam "Islamika", Jakarta: Mizan dan Missi, No 3, Januari-Maret, 1994.

Noer, Kautsar Ashari, *Ibn Arabi: Wahdatul Wujud dan Perdebatan*. Jakarta: Paramadina, 1995.

Murata, Sachico, *The Toa of Islam*. Terj, RahamaniAstutidan MS. Nasrullah. Bandung: Mizan, 1996.

Ali, Yunasril, *Manusia Citra Ilahi,* Jakarta: Paramadina, 1997.

Eafifi, A., *Filsafat Mistis Ibn 'Arabi,* trans. Sjahrir Mawi dan Handi Rahman, Jakarta: Gaya Media, 1989.

Keraf, Sony, *EtikaLingkungan*. Jakarta: Kompas, 2006.

Cang, William, *Moral Lingkungan Hidup,* Jogjakarta: Kaniius, 2000.

Swito. NS., *Eko-Sufisme: Konsep, Strategi dan Dampak*. Yogyakarta: STAIN Press, 2011.

Sell , Michael A. *Terbakar Cinta Tuhan*. Terjemah Al-Fatri . Bandung: Mizan, 2004.

Siraj, Said Aqil*, Tasawuf Sebagai Kritik Sosial* . Bandung: Mizan, 2006.

Hadi, S. Ali Kodra, *Kapasitas Pengelolaan SDA dan Lingkungan Hidup*, Diktat Seminar Kajian Islam Komprehensif, Jakarta: Paskasarjana UIN Jakarta, 2007.

Sudarsono, *Menuju Kemapanan Lingkungn Hidup Jawa.* Jogjakarta: PPLHRJ, 2007.

Konchak, Wiliam and Paskual, Unai, *Covergin Paradigm for Co-Evalutionary Enveronmental Limit Diascorese*, *Environmental Economy and Policy Research*, 2005.

Negara, Mulyadi Karta, *Menyelami Hakikat Tuhan, Manusia dan Alam*. Jakarta: Erlangga, 2007.

محمد عبده,*الله ﷻ وصفاته وأفعاله*, في*رسالة التوحيد*, قاهرة: دار المنار, ١٣٦٦.

ابن عطاءالله السكندري, *الحكم*, جدة: حرامين, د.س..

ابن عربي, *الفتوحات المكية* ,قاهرة: دار الكتب العلمية, بيروت, ٢٠٠٦.

ابن تيمية, *مجموع الفتوى*, بيروت: دار العربية, ١٣٩٨.

سراج الدين الطوسي, *اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي*, بيروت: دار الكتب العلمية, ٢٠٠٧.

ابن خلدون, *المقدمة*, القاهرة: دار المعارف, ١٩٦٨.

أبو حامد الغزالي *إحياء علوم الدين*، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر،د.س. ج ٣.

سنن أبي داود, أبو داود سليمان ، بيروت: دار الفكر, ١٩٩٤.

مايكل زيمرمان ، *الفلسفة البيئية: من حقوق الحيوان إلى الإيكولوجيا الجذرية*.
أبن رشد، *بداية المجتهد*, بيروت: دار الفكر, ٢٠٠٨, ج ١.
القشيري,*الرسالة القشيرية في علم التصوف*, بيروت: دار المحبة البيضاء, ٨.
حسين الخشن في,*النظام الأخلاقي وحماية البيئة, في ألو إندونيسيا*,العدد ٣٢٩ , سنة ٢٠١٠.
محمد الغزالي, *إحياء علوم الدين*, بيروت: دار الفكر, ٢٠٠٢, ج ١.